

أحمد شوقي

الليالي  
السهرة



مكتبة علي بن صالح الرقمية

أحمد شوقي



## السّت هدى

مسرح شعري

1936



كتب أونلاين  
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

## تمهيد

- زمن الرواية: سنة ١٨٩٠م.
- مكان الرواية: حي الحنفي، القاهرة.
- أشخاص الرواية:

- الست هدى.
  - الست زينب: صديقتها.
  - من فتيات الجيران: خديجة، أسماء، بهية، إقبال.
  - عبد المنعم المحامي: زوج الست هدى.
  - حلمي: كاتبه.
  - السيد العجيزي: من أعيان الريف وزوج آخر للست هدى.»
  - من أصدقاء السيد العجيزي: محمد، أحمد، عامر، الشيخ الحلبي، مصطفى
- النشاشقي.
- ألاماز: أغا.
  - رضوان: خادم.
  - سلمان: مراب.

## الفصل الأول

(في دار صغيرة مؤلفة من: «مندرة» في الطبقة السفلى، ومن سلم يُصعد منه إلى قاعة صغيرة، وثلاث حجرات، والمنزل مطل على مسجد «أبي الليف» بحي «السيدة زينب»)

(الست «هدى» وجارتها «زينب» في إحدى الحجرات)

**الست هدى:**

كيف يا أخت أنتِ؟

**زينب:**

نحنُ برَّعِدُ      كلُّنا ما بقيتِ أنتِ برَّعِدُ

**الست هدى:**

أنتِ يا «زينبُ» الوفيَّةُ بالعهدِ

**زينب:**

ولم لا أفي وخَيْرُكِ عندي؟

نحن من أربعين عامًا على      خيرِ جوارٍ بين اثنتين وودِّ

الست هدى:

لا، بل العهدُ لا يزيدُ على العشرينَ  
اسمعي زينب، اسمعي يا صديقتي  
خَلِّي حسابَه، لا تُعَدِّي!  
لكِ هذا الدُّبوس

زينب:

لي أنا؟

الست هدى:

بَعْدِي  
أنا أعطيتُ كلَّ صاحبةٍ شيئاً  
وأُنصفت في الوصيَّةِ جُهدي  
ما يقولُ الجيرانُ «زينبُ» عني؟

زينب:

أتركهم، لا تحفلي بالردِّ

الست هدى:

يقولون في أمري الكثيرَ وشغلهم  
يقولون إني قد تزوجتُ تسعةً  
وما أنا «عزْريلُّ» وليسَ بمالهم  
وتلكِ فدائيني الثلاثونَ كلِّما  
فما أكثرَ عُشاقِي  
ولو لا المالُ ما جاءوا  
حديثُ زواجي أو حديثُ طلاقي  
وإنِّي واريثُ الترابَ رِفاقي  
تزوجتُ، لكن كان ذاكِ بمالي  
تولَّى رجال جئنني بِرجالِ  
وما أكثرَ خُطابي!  
أذلاءً إلى بابي

لستُ ما عشتُ ناسيه  
أولَ البختِ «مصطفى»  
حينَ يمشي تظنُّه  
رحمةُ الله عليه  
لستُ أسلُو حَيَاتِيَه  
«مصطفى» كان سَارِيَه  
نخلَه «المَرَج» ماشِيَه  
لم يكن يطلُبُ مالي  
وَهِي جنونٌ للرجالِ  
تلكِ «أبعاديَّتِي»  
لم تكن تخطر في الـ  
عام له يوماً ببالِ  
لم يكن يعنيه من ذا  
ك سوي قبضِ الإجاره  
جعل الله تعالى  
جنةَ الخلدِ قراره  
مات فكذتُ أموت حزناً  
وكان عمري عشرينَ عاماً  
ثم تزوجتُ بعد خمسِ  
من ذا يرى فعلتي حراماً؟!  
من ذا يرى فعلتي حراماً!؟

زينب:

أجل، تعيشينَ وتَدْفِنِينَا  
حتى تصيبي مِنْهُم البئينا

الست هدى:

وزوجي الثاني «علي»  
يا لَيْتَتِي لم أَقْبَلِ  
لم يكن يصلُح لي  
يا لَيْتَتِي لم أَقْبَلِ  
ذاك لِمالي اختارني  
واخترتُه لِماليه  
ما كان إلا مُفلساً  
وقَعْتُ في حباله  
يرحمه الله، وكان ذا بَحْرٍ  
وكان إن يقعدُ وإن يقُمَ نَحْرُ  
وإن مشى تخرجُ أصواتُ أَحْرٍ  
يرحمه الله لقد عشنا معا  
من السنينَ الصاخباتِ أربعا

ثم مضى لربه لا رجعا

رحمةُ الله عليه  
ثم لما مات ما  
وَمَاتَ لَمْ تَبْكِهِ غَيُونِي  
ثم تزوجتُ سِوَاهُ  
جُنَّ بِالنَّسْلِ جُنُونًا  
خَلَّفَ لِي إِلَّا دُيُونًا  
وَكَانَ عُمْرِي عَشْرِينَ عَامًا  
مَنْ ذَا يَرَى فَعَلْتِي حَرَامًا!؟

زينب:

أجل، تعيشين وتدفنيننا  
حتى تصيبي منهم البنينا

الست هدى:

ولستُ أنسى زوجي الرابع  
قالوا: أديبٌ لم يروا مثله  
قد زينوه لي، فاخترته  
رائحٌ أكثرَ الزما  
يكتب اليومَ في «اللوا»  
ليله أو نهاره  
ويعجبني عند المباهاة قوله  
وقد يُصبحُ المبنيُّ أوضعَ منزلا  
رحمةُ الله عليه  
كان إن أفلس لا  
ثم تزوجتُ بيوزباشي «قمر»  
لا نافعًا كان ولا شافعًا  
ولقبوه الكاتبَ البارعا  
ما اخترتُ إلا عاطلاً ضائعاً  
ن على الصُحفِ مُغْتدي  
وغداً في «المؤيد»  
فارغَ الحبيبِ واليدِ  
بنيتُ فلاناً أو هدمتُ فلاناً  
وقد يصبحُ المهودمُ أرفعَ شأنًا  
كان لا يخقرُ مالا  
يسألني إلا ريالاً  
نهى كما شاء هَوَاهُ وَأَمْرُ

لقد وددتُ أنه زوجُ العُمُرُ

له، لا ارتقى لرتبة «صاغ»  
لم يُرَدني لكن أراد «مصاغي»  
أبيع أو أرهن أطباني  
لا أشتري جيشاً بفدانٍ  
وفاكهي وريحاني وراحي  
ويحلم بالقلادة والوشاح  
يجيء البيت في ضوء الصباح  
يقامر بالنجوم وبالسلاح  
وكان عمري عشرين عاماً  
من ذا يرى فعلتي حراماً؟!

لا عفاً الله عنه، لا غفر الله  
لا عفاً الله عنه، قد كان لصاً  
وطالما زين لي أنني  
من أجل «بيوزباشي»؟ لقد ضلّ، لآ  
لحاء الله كان منى فؤادي  
وكنتُ أحبُّه ويحبُّ طيني  
وكان مقامراً شريباً خمرٍ  
يكاد إذا تورط في قمارٍ  
عشنا ثلاثاً ثم افترقنا  
طلّقتني فالتمستُ زوجاً

**زينب:**

حتى تصيبي منهم البنينا

أجل، تعيشين وتدفيننا

**الست هدى:**

ثم تزوجتُ بالموظف  
ما كان أبهى! ما كان أظرف!  
ومن نسيم الربيع الطف!  
أجيبه أم قفاه أنظف!  
في جيبه غير قطعتي ذهب!  
كانت على الرف من وفاة أبي  
ولم أضيّق عليه في رجب

وعشتُ عامين دون زوج  
لم أنسه منذ مات يوماً  
كان خفيفاً وكان خلواً  
ما كنت أدري إذ تولّى  
يرحمه الله مات ما وجدوا  
وسبحة من خزانتي سرقت  
وسّعت في دفنه ومأتمه

رحمةُ الله عليه  
كل يوم يدعُ البيـ  
ثم لا يرجعُ لي إلا  
رحمةُ الله عليه  
كلَّ يوم بزُبُونِ  
وفدايني عندي  
ما كان في وجنتي يقبِّلني  
وعينه في حَوَاتيمي أبداً  
ثم اقترنتُ بفقيه  
لا في الشيوخ القدماء  
كهلُّ أخو خمسين لـ

كان «جَخَاخَا» كبيراً  
تَ رئيساً أو وزيراً  
كما كان صغيراً  
كان مشغولاً بطيبي  
أو بسمسارٍ يجيني  
هي في الحفظِ كديني  
بل همُّه في يدي يقبِّلها  
يحدِّثُ النفس كيف ينشئها  
عالمٍ في البلدِ  
ولا الشيوخ الجُدِّ  
لكن في نشاطِ الأُمردِ

زينب:

عرفتُه، ذاكَ الفقيهُ  
قد كانَ في «الخُطِّ» وجيـ  
وكل من مرَّ به  
«الشيخُ عبدُ الصمدِ»  
هَـا ومُقَبِّلَ اليَدِ  
خاطبه بسَيِّدي!

الست هدى:

يرحمه الله لقد أدبني  
حتى عرفتُ كيف تخضعُ النِّسَاءُ؟

زينب:

أنتِ؟

الست هدى:

أجل! أدبني بيده ورجله وبالعصا

زينب:

كيف؟ متى؟

الست هدى:

رأى غبارًا عالقًا بجبهتي  
فقال هذا التراب من نافذة  
وهاج حتى خفت أن يقتلني  
وجاء بالنجار من ساعته  
فقلت يهواني وتلك غيرة  
وقبله لم أر من غار ولا  
يرحمه الله لقد مات على  
مات ولم يرقد له جنب ولا  
رحمة الله عليه لم يكن  
وإذا ما جاءني أو جنته  
لكنه منذ كنا  
يفضل الأكل من غير  
كان الأزهر المعمور بيتي  
خلف الشيخ من الـ

ولم أكن أعلم من أين أتى؟  
من كنت منها تنتظرين يا ترى؟  
وشمر الذيل وجرّد العصا  
سدّ الشبايبك وسمر الكوى  
يا حبذا الزوج الغيور حبذا!  
من ظنّ في قلبي لغيره هوى  
سحري ونحري بعدما صلى الضحى  
بدت عليه علة ولا اشتكى  
فمه يذكر «أبعاديّتي»  
لم يُقلب عينه في «صبيغتي»  
ما حلّ عقدة كيبه  
ماله وفلوسيه  
هناك «جراية» وهنا «جرايه»!  
أولاد ما يملأ حارة!

فُسِّمَتْ ثَرَوْتُهُ عَلَيَّ — هُمْ فَتَالَ الطُّفْلَ بَارَهُ!  
عشت مع الشيخ نصفَ عامٍ وكان عمري عشرين عامًا  
ومات فاختراني سِوَاهُ من ذا يَرَى فَعَلَّتِي حَرَامًا!؟

زينب:

أجل تعيشينَ وتَدْفِنِينَا حتى تصيبي مِنْهُمُ البِنِينَا

الست هدى:

أُتَذَكِّرِينَ بَعْدَهُ من جَاءَ بَيْتِي يَخْطُبُ!؟

زينب:

مَنْ ذَاكَ مَنْ؟

الست هدى:

أنتِ التي جِئْتِ بِهِ يَا زَيْنَبُ!

زينب:

«مهدي» المقاول الثري الممتملي مِنَ الذَّهَبِ

الست هدى:

قد ذَهَبَ اللهُ بِهِ — أجل، إلى النارِ ذهبُ  
لم ينسَ أن يذكرَ «أُبْعَادِيَّتِي» ما للغبيِّ، ولطيني ما له!؟  
ولم يكن عند الطعام يَسْتَحِي — يأكل مالي ويعدُّ مَالَهُ!

يرحمه الله وإن لم أر لَوْنَ قِرْشِهِ

عشتُ اثنتَينِ معه

لو لم يَمِتْ لِمْتُ مِنْ

جَخِّهِ وَفَشِّهِ

كأَنَّمَا تَسَرَّبْتُ

عِمَارَةٌ فِي كِرْشِهِ

يَدْبُ كَالْحُلُوفِ فِي

خُرُوجِهِ مِنْ قَشِّهِ

وما استرخت ليلَةً

من طَخَنِهِ وَدَشِّهِ

ومن تِلَالِ جِيرِهِ

وَمَنْ جِبَالِ «دَبْشِهِ»

ظَلَلْتُ عَامِينَ فِي بَلَاءِ

وكان عُمرِي عشرينَ عامًا

ومات «مَهْدِي» فاعتضتُ عنه

من ذا يَرى فَعَلْتِي حَرَامًا؟!

**زينب:**

أجل تَعيشِينَ وَتَدْفِنِينَا

حتى تصيبي مِنْهُمُ البَنِينَا

**الست هدى:**

ثم اقترنْتُ بِمُحَامِ عَاطِلِ

شَرَّيبِ خَمْرٍ يَحْتَسِبِيهَا فِي الضُّحَى

قَلَّتْ دَعَاوِيهِ وَقَلَّ مَالُهُ

وَأَصْبَحَ المَكْتُبُ مِنْهُ قَدْ خَلَا!

**عبد المنعم المحامي (زوج الست هدى، وهو سكران) يصعد السلم:**

هدى، ضلالٌ، أين أنتِ يا هدى؟

أين العَجُوزُ؟ أين جدَّتِي هدى؟

**الست هدى:**

وَآنَكَدَا «زِينب» وَآ دَاهِيَتَا لَقَد آتَى لآ أَدْرِي مَن آيُنَ آتَى؟  
يَشْتَمُ فِي السُّلْمِ

زِينب:

خَلِيهِ دَعِي  
لآ تَفْرُضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَدَى!  
رَأَيْتُهُ

السْت هَدَى:

وَكَيفَ

زِينب:

مَنْ تُحْتُّ وَقَدْ كَانَ مَن السَّقْفِ أَطْلَّ وَآنَحْنِي  
وَكَانَتِ الْحَارَةُ مَنَّا اِمْتَلَأَتْ فَأَرْسَلَ الْقِيَاءَ عَلَيْنَا وَرَمَى!

السْت هَدَى:

الْقِيَاءُ؟ مَاذَا قَلْتِ؟

زِينب:

قَلْتِ مَا رَأَيْتِ عَيْنِي وَمَا مَرَّ عَلَى رَأْسِي وَمَا

عَبْدُ الْمَنَعَمِ (وَهُوَ بِالسُّلْمِ):

هَدَى، عَجُوزَ النَّحْسِ، أَنْتِ قَرْدَةٌ خَطُوطُكَ الْوَحْلُ وَكُحْلُكَ الْعَمَى

الست هدى:

سمعتِ يَا زَيْنَبُ؟

زينب:

خَلِيَّه، دَعِي      لَا تَقْرَضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَدَى  
وَمَرَّةً جَاءَ «أَبَا اللَّيْفِ» ضَحَى      أَدْنَّ فِي النَّاسِ يُصَلُّونَ الْعِشَاءَ  
فَضِيحَةٌ فِي الْخُطِّ!

الست هدى:

وَإِضْحِيحَتَا

زينب:

مَا شَهَدُوا فِي «الْحَنْفِيِّ» مِثْلَهَا

عَبْدُ الْمَنْعَمِ (وَهُوَ بِالسُّلَمِ):

هَدَى تَعَالَى يَا عَتِيقَةَ اظْهَرِي      عِنْدِي لَكَ النَّعْلُ وَهَذِهِ الْعَصَا

الست هدى:

سمعتِ يَا زَيْنَبُ؟

زينب:

خَلِيَّه، دَعِي      لَا تَقْرَضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَدَى

الست هدى:

دعیه یهذي ما یثا  
غدا ترین زینب  
ففي غد لي وله  
شأن، غدا یؤدب

زینب:

ما الذي عزمت يا  
حبيبتي أن تصنعي

الست هدى:

أقذف في القسم به  
وأشتكي وأدعي  
إن رجال القسم، والنـ  
ائب والقاضي معي!

(لزوجها)

لتندمن يا لكع  
يا من يقوم ويقع

عبد المنعم (وهو بالسلم):

ماذا سمعت؟ صوتها؟  
أنت بومتي هنا؟  
الآن جُميَزة «الخـ  
ط» أريك من أنا؟

زینب:

هُدى، حبيبتي اسمعي  
تعالی اهربي معي!

الست هدى:

أنا؟

زينب:

اسمعي، دعيه،

الست هدى:

لا

زينب:

دعيه يا هدى، دعي

لا تُغصبيه إنه مُمتلي، ليس يعي!

عبد المنعم (وهو بالسلم):

أين العجوز الباليه؟

هدى! هدى! أين هدى؟

أين ذهب خفتي؟

أين مضيت بومتي؟

وأذناك عقربان من قنا

خدك صغدعتان قد أسنتنا

كدودتين اكتظتا من الدما

وحاجباك والخطوط فيهما

عين هناك خاصمت عيناً هنا!

وبين عينيك نفاً وجفاً

الست هدى:

ء وأجز الوقاح على ذنبه

دعيني أقطع عليه الحذا

ق فلا بد زينب من ضربيه!

دعيني أضربه حتى يفيد

زينب:

قد جاء، هَيَّا نَتَقِي  
جنونه وهوسه  
ففي يمينه العصا  
وفي الشمال المكنسه

الست هدى:

سكرانُ يضربُ إذن لنهربُ  
هلمَّ زينبُ  
هذه حجرةٌ نومي  
أسرعي زينبُ فيها  
نحنُ يا زينبُ لا نكـ  
بُحُ سكرانَ سفيها

(تدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب)

عبد المنعم (وهو داخل يترنح):

هدى ذاتُ الفدايين هدى

الست هدى:

فكّر في طيني

عبد المنعم:

من لي بالزبرجد؟ من لي بالزمرّد؟

يا ليتَ ذاكَ في يدي!

الست هدى:

سمعتِ؟ عبدَ المنعمِ  
قد هام في خواتمي

(يجتاز «عبد المنعم» القاعة إلى حجرة نومه)

**الست هدى:**

ما الذي صنَع زينبُ انظري

**زينب:**

ثم فاضطجع جاء حجرة  
فلمندعهُ في النـوم فلندع  
محفوظةً، الآن أستودعك الله هُدى

**الست هدى:**

لا تُهمليني زينبُ!

(تخرج زينب)

(تسمع ضجة بالسلم ...)

**الست هدى:**

ما الصوتُ؟ ما أسمعُ؟ من يا تُرى؟  
هذا خُطوطي وكُخلي  
وما هذه الصَّجَّة في السُّلم؟  
وتلك صبغةُ شعري  
لم أنس حُمرَةَ خدي  
لم أنس زينةَ صدري  
وهذا الثوبُ ما أبهى!  
وهذا الخُفُّ ما أحسنُ!  
ومنديلي على رأسي  
وما أخلى! وما أزينُ!  
وهذه خواتمي  
بها يدي مُرَصَّعة

وهذه قلائدي      في لَبَّتِي مُلَمَّعُهُ  
اقترب الصوت وتلك أرجلُ      تدبُّ عند البابِ، مَنْ؟

**أصوات:**

هل ندخُلُ؟

**الست هدى:**

ادخُلن! أهلا وسهـ      لا ومرحبا بالحبائب

(تدخل أربع فتيات من بنات الجيران: «خديجة» و«أسماء» و«بهية» و«إقبال»)

**خديجة:**

صباح الخير يا عمه

**الست هدى:**

صُبِّحْتُنَّ بالخيرِ

«خديجة» ابنتي هنا؟      هذا هو التفضُّل!

**خديجة:**

إن أنا بالعمَّة لم      أسل، فعمَّن أسأل؟

**الست هدى:**

أنتِ ابنتي ستأخذين      من خاتمي الزمردا!

**خديجة:**

اليوم يا عمّة؟

**الست هدى:**

لا!

**خديجة:**

متى إذن متى؟!

**الست هدى:**

غداً! من بعد موتي

**خديجة:**

لا تمو

تي أنا عمّتي الفدا!

**الست هدى (لأسماء):**

وأنت يا أسماء إذا متُّ غداً أخذتِ هذا الخاتم الزبرجدا

**أسماء:**

لا كان يا عمّة عشتِ الأبدًا!

**إقبال:**

أسماء يا عمّة مخطوبة

الست هدى:

لمن؟

إقبال:

لشيخ عمدة في الصعيد!

الست هدى:

حذار يا أسماء أن تفعلي

أسماء:

أنا؟ أبا يختار لي من يريد!

الست هدى:

قولي له: العمدة جريته

أسماء:

أقول؟ من يسمع أو من يعي؟ إن أبا صعب ولا أجترني

الست هدى:

إذن دعيني أنا أفعل، دعني!

(البهية)

وأنت يا ابنتي؟

بهية:

خُطِبْتُ من زَمَنُ

الست هدى:

مِنْ زَمَنٍ؟ تبـ أَرَاكَ اللهُ، لِمَنْ؟

بهية:

لضابطٍ في الجيش!

الست هدى:

ضابطٌ؟

بهية:

أجل!

الست هدى:

أَحْسَنْتِ، أَحْسَنْتِـ تِ، تَخَيَّرْتِ الرجلُ!

بهية:

ما اخترت يا عَمَّتِي ولكنْ  
أبى وَأُمِّي تَخَيَّرَا لي!  
بناتُ مصر يُخَطِّبْنَ لِكِنْ  
لا يَتَنَاقَشْنَ في الرجالِ!

نُبَاعُ يَا عَمَّتِي وَنُشْرَى مَا نَحْنُ إِلَّا عَرُوضٌ مَالٍ!

الست هدى (لأسماء):

وكيف أَخُنُّكَ «بنبا»

أسماء:

تُقَبِّلُ الْيَدَ

الست هدى (لأسماء):

عَشْتُ

أسماء:

مخطوبةٌ هي أيضًا!

الست هدى:

ماذا تقولين بنتي؟

مَنْ الْكَبِيرَةُ؟ «بِنْبَا» أم الْكَبِيرَةُ أَنْتِ؟

عمرُك بالتَّخْمِينِ

أسماء:

لَسَ تُ خَالَتِي مُخَمَّنَةٌ

في رجب الذي مضى أتممتُ عشرين سنةً

الست هدى:

عشرون أنت يا ابنتي إذن فما عمري أنا؟

أسماء:

ستون يا خاله؟

الست هدى:

صه لم أر منك أزعنا

أسماء:

خمسون يا سيديتي؟

الست هدى:

كذبت كذبا بينا

أسماء:

إذن ففي العشرين يا خاله أنت وأنا!

الست هدى:

هذا الحديث عبث  
كل امرئ داخلها!  
خذي بنا في غيره!  
برزقه وعمره

خديجة:

اسكُتِي أسماءُ خَلَى السدَّ  
نَّ ما هذا الفُضُولُ؟  
هي يَا خالَةَ حَمَقِي  
لَيْسَ تَدْرِي ما تَقُولُ!  
أنتِ يَا خالَةَ في وَجَدِ  
هَكَ قَدْ خُطَّ القَبُولُ!  
لا مَشِيبٌ لا اصْفِرارٌ  
لا غُضُونٌ لا دُبُولُ!

**الست هدى:**

سمعت أسماء؟ علميها  
ما القول؟

**خديجة:**

بل أنت علمينا!

**الست هدى:**

صُنَّ جمالَ الوُجُوهِ صَوْنًا  
فالسُّنُّ بالوجه لا السَّنِينا!

(يسمع صوت خارج الحجرة)

ما ذاك عند البيا  
ب؟ صوتُ رجلٍ؟

**القادم:**

سيديتي، أدخل

**الست هدى:**

«ألمازُ» ادخُل!

(«أَلْمَازُ» أَغَا!)

الأغا:

سَيِّدَتِي!

الست هدى:

يا مرحبًا يا مرحبًا!

الأغا:

أرسلتني حرمُ الباشا

الست هدى:

أعدُّ

الأغا:

أرسلتني حرمُ الباشا إليك

الست هدى:

هذا أغا الباشا اقتربَ ماذا وراء القادم؟

الأغا:

أحملُ يا سيِّدتي تحيةَ الهوانم!

الست هدى:

بِاللهِ «أَلْمَازُ» أَلَا  
تُحِبُّ بُنِّي فَجَرَّبَ  
جَلَسْتَ بِالْقُرْبِ مِنِّي  
بُنَّ السَّرَّايِ وَبُنِّي

(تتاوله قهوة)

ما للهوانم «ألمـ  
ازُ» ليس يسألن عني؟

الأغا:

نسيت يا سيديتي  
أمس، أما كُنْ هُنَا؟

الست هدى:

ومن أنا حتى تزو  
رني الشموس من أنا؟!!

الأغا:

واليوم يا سيديتي  
أرسلني بالمركبة

الست هدى:

جئت إذن في طلبي؟

الأغا:

أجل، وتحت العربيه

الست هدى:

أيتهن يا أعا؟

الأغا:

«فيكتوريا» المقفلة!

ذاتُ الرِّفَافِ الخِفا  
فِ والسُّتُورِ المسدلة!  
ركوبَةُ الهانمِ في الـ  
أعيادِ والمواسمِ؟  
إلى السراياتِ من الـ  
إنشأ إلى الهياتم!

الست هدى (الفتيات):

الجوانتي هُناك «أسماء» انظريه  
انظري يا «خديجة» الفرجية

(وهي تلبس)

انظري «إقبال» ما  
أجمل هذي الفرجيا  
انظري شالي «أسما»  
كيف حلّى كتفيا  
ثم انظرا هُناك يا  
بنتي فوق الكنبه  
مروحة من النعام  
بيدٍ مُدهبه  
وخليا هُناك لي مروحة  
عاجا وأخرى كلها من الصدف

خديجة (همسا):

أسماء!

أسماء:

أختي!

خديجة:

أبيت أم معمل من مراوح؟!

أسماء:

ما تصنعين خالتي بهذه المراوح؟!

الست هدى:

أنا ابنتي مولعة بها وبالرِّوائح!  
ذكَرْتِي «أسماء» لا تنسي الورد على الرِّفِّ ولا الياسمين

أسماء:

خالَّةُ ماذا؟

الست هدى:

كلُّ شيءٍ عندي

أسماء:

أأنتِ سمعانُ أم الماوردي؟

الست هدى:

أسماء تعالني انظري كيف ترين رجلياً؟  
هذا الحذاء هل ترى يليق للفكثوريا؟!

أسماء:

خالة لا تُبَدِّلِي      هذا الحذاءُ «مملَكَةٌ»!

**الست هدى:**

الله يا بُنَيَّتِي      يطرحُ فيكَ البرَكَةَ!

(للأغا)

لا أحدٌ في الخُطِّ إلاَّ      استوقَفْتَهُ العَرَبَةَ  
فحارة قائمةٌ      وحرارةٌ مُنْقَلِبَةٌ

**الأغا:**

سيدتي لا تخافي      مركبتي لا تجرُّ

**الست هدى:**

«ألمازُ» أنتَ ظريفٌ      ومركباتك عِزُّ

(للفتيات)

قد أن أجيبَ دعوةَ الأغا      هيَّا ابنتيَّ هيَّا ألبساني

(الفتيات يشتغلن بلباسها)

**الست هدى (لخديجة وأسماء):**

أنت ابنتي وهذه فتاتي      بناتُ جاراتي وصاحباتي

إذا حُرِمْتُ النسلَ هنَّ بناتي

وفي يدي من «مصاغ»

لكنَّ بعد دماغي

وكل ما فوق صدري

وكل شيء بييتي

## الفصل الثاني

(في قاعة الدار)

(عبد المنعم يتناول طعام الفطور مع الست هدى)

(عبد المنعم ينادي حلمي الكاتب وهو تحت)

**عبد المنعم:**

حلمي، تعال

**حلمي:**

سيدي!

**عبد المنعم:**

تعالى يا ابني اصعد

(يحضر حلمي)

تعال قَرَّبْ «سَلْتَةً» تعال هَهُنَا اقْعُدِ  
صُبِّحْتَ بِالْخَيْرِ أَهْلًا

حلمي:

يا صَبَّحْتَكَ السَّعَادَةَ؟  
هَذَا الْفَطُورِ سَيِّدِي بِصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ!

عبد المنعم:

تعال جَرِّبْ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ

حلمي:

لَقَدْ أَكَلْتُ الْفُولَ مِنْذُ سَاعَةٍ

عبد المنعم:

تلك بَضَاعَةٌ وَذِي بَضَاعَهُ

(وهو يأكل)

حلمي:

الْفُولُ يَا سَيِّدِي لَذِيذٌ الْفُولُ مِنْ حَارَةِ النَّصَارَى  
وَالْعَيْشُ مِنْ مَخْبِزِ الرَّمَالِي

الست هدى:

وَالزَّيْتُ مِنْ مَعْمَلِ «الْبَدَّارِي»

عبد المنعم:

البداري! ما تُلِكِ سوقُ  
قد سمعنا بها، ولا تلكِ حارة!

حلمي:

وليمونك يا هانمُ

الست هدى:

كالشهدِ وكالسكرِ

حلمي:

ومن أين به جيء؟

عبد المنعم:

من الجنة والكوتز!

الفول يا حلمي لذيذٌ فكلُ  
وخلٌ ما تسمع من دَشِّها  
فما على الدنيا سوى أكلها  
ولا على الأرض سوى فرشها  
كلُّ، كلٌ ولا تُصغ لها  
فإنها مُمخرقةٌ  
وكل شيءٍ لم يكنُ  
قادرةٌ أن تخلقه

الست هدى:

لا أيها الفاضل، لا  
أثير من شقشقةٍ  
ما أنا بالمحامية!  
زوبعةٌ في أنيه!

حلمي:

وما ذاك يا سيدي في يديك؟

عبد المنعم:

ألذ من اللبن المزبد زبيب!!

حلمي:

على الرقيق؟!

عبد المنعم:

لا يا غبي!

على الفول!

حلمي:

أفطع يا سيدي!

الست هدى:

أصبح المنزل حائنة

نحن يا حلمي هلكننا

كلَّ يَوْمٍ «جَمَدَانَةٌ»!

صار لا يكفي المحامي

زينب (لدى الباب):

العَوَافِي!

عبد المنعم:

صوت لدى الباب

الست هدى:

هذي زينب جارتِي، تعالِي تعالِي

(لزوجها)

خبِي الخمرَ أخفِ ما أنت فيه

عبد المنعم:

دعني دغن، ما لكنَّ ومالي؟

الست هدى:

ادخُلي جارتِي ادخُلي، هيَّا خُشي

(لزوجها)

خبِي الخمر

عبد المنعم:

أتركيني وِحالي

الست هدى:

ادخُلي زينبُ ادخُلي لا تهابي

زينب:

مَنْ هُنَا؟ قد سمعت صوت رجال!

الست هدى:

الأفندي وسكرتير الأفندي ادخلي، لا غريبَ زينب عندي

زينب:

الأفندي وتقولين ادخلي؟

الست هدى:

ادخلي ليس سواه ها هنا؟  
ما الذي تخشين يا أخت ادخلي

زينب:

لا، دعيني! أنا لم أنس العصا

(زينب تتصرف مذعورة ويظهر «ألماز أغا» لدى الباب)

ألماز أغا:

صباح الخير يا هانم

الست هدى:

من؟ صبحت بالخير

(لزوجها)

هذا أغا الباشا أتى  
ارم الزبيب من يديك  
وفيم جاء يا تُرى؟  
فهو من أهل التُّقى

عبد المنعم:

لينصرف لشأنه  
فما له وما لنا؟

الست هدى:

ارم الزبيب قلت

عبد المنعم:

لا

الست هدى:

يستهزئُ الناس بنا  
قم امض حلمي بالزبيب — ب، بل به أمضي أنا

(تخبئُ الزبيب، ويدخل الأغا)

الأغا:

سيدتي، عندكِ ناسٌ؟

الست هدى:

ما سوى زوجي هنا

الأغا (للزوج):

عافية يا سيدي هذا فطور أم غدا؟

عبد المنعم:

اذن تفضل، كل معي فول لذيذ يا أغا

الأغا:

بصحة يا سيدي أكلت من وقت مضى

عبد المنعم:

لا، بل ادخل يا أغا ادخل مكانا غير ذا  
هذا المكان قدر خذيه ثم يا هدى

الأغا:

يا حبذا المجلس لولا شغل داغ لقضيت النهار هاهنا

حلمي:

وما الذي يشغلك الآن؟

عبد المنعم:

وما يعنك يا أحمق من شأن الأغا؟  
الأغوات تنقضي أعمارهم بين السرايات هناك وهنا

(همسًا)

اتركه يمضي يا غبي فلا أريده هنا

حلمي (للأغا):

أنت ظريف يا أخي

الأغا:

أنت الظريف لا أنا

(للمحامي)

ما اسم أخينا؟

عبد المنعم:

ذاك «حلمي» كاتبني

الأغا:

السكرتير؟ مرحبًا يا مرحبًا

والآن في حراسة الله

حلمي (للأغا):

انتظر يا سيدي!

عبد المنعم (همسًا):

دعه!

حلمي:

انتظر نخرج معًا

عبد المنعم:

وأين يا حلمي؟

حلمي:

أشيح الأغا

الأغا:

لا سيدي بالله

حلمي:

لا

الأغا:

بل ابق!

حلمي:

لا!

الأغا:

لي كَلِمَة يا سيدي أقولها للهانيم

عبد المنعم (مبتسماً):

أذهبي مع الأغا هدى

الأغا:

يا سيدي الهانم أختي، لا تخف

حلمي:

انظر إليه ما أخفّه دماً!

عبد المنعم:

امضي هدى هلمّي شيعي الأغا الأختُ يا هدى تشيع الأغا

(السيدة والأغا يخرجان)

الحمد لله على نعمته زال العنا  
أشربها، فلا هدى ولا الطواشي هنا  
لي ساعة ما ذاقها أنفي ولا ذاق فمي

(ويخرج الكأس من مخبئها بين قدميه)

حتى لقد كدت من ظمي      أشربها بقدمي  
حُرِّمَتْ منها ساعةٌ      وأنت كنتَ السببَا  
سبحان من لم يعطك الـ      ففهم وأعطاك الغبَا  
الآن تأتي هدى فكن فطنًا      حلمي وكن ثعلبًا وكن حذرًا  
إن هدى ذئبٌ

**حلمي:**

عليَّ أجلُّ      سوف ترى ما أكون، سوف ترى  
ما ذاك أول نصبٍ      جربت فيه صبيك

**عبد المنعم:**

احفظ لسانك حلمي      فمالُ زوجي مالي  
حلمي صه ها هي ذي عائدة

**حلمي:**

من يفتح الحديث؟ أنت أم أنا؟

**عبد المنعم:**

بل أنت ثم خل لي تمامه

**حلمي:**

ولم لا نقتحم النار معًا

(تدخل هدى)

عبد المنعم:

هدى

الست هدى:

لقد كنت غليظاً جافياً ولم تعظّم الأغا

عبد المنعم:

لقد كنت مشغولاً بلقمتي هدى

الست هدى:

تعاقرُ الخمر ضُحى!

ولو رآك لجرتُ فضيحة

عبد المنعم:

لكن مضى وما رأى

حلمي:

رأيت سيدي وكيف ساسه وكيف دارى وأنّقي؟

لأجل عينيك رمى الزبيب من يديه

الست هدى:

الرّجس رمى

عبد المنعم:

الآن أصغي يا هدى مسـ ألة أن بها أن يُعنتي

الست هدى:

وبم تريدُ أعتي؟

عبد المنعم:

بمكتبي،

الست هدى:

وما الذي له جرى؟

عبد المنعم:

يكادُ مكتبي يكون مقفلاً

الست هدى:

ما ضرني أن يقفلا؟

حلمي:

سيدتي المكتب «أبعادية» هل تتركانه سدى؟

غلته ألفتان كل سنة

الست هدى:

وكيف ذاك؟ ومتى؟

حلمي:

بل زاد عن ذلك يا سيدتي بالأمس، من عامٍ مضى

الست هدى:

وما الذي تريدُ أن أصنعه؟

حلمي:

مدي لزوجك اليدا

الست هدى:

وكيف يا حلمي؟

حلمي:

نبيعُ الطين أو نرهئه إلى مدى

الست هدى:

طيني أنا أبيعُه، أرهـ نه؟ ماذا تقول يا فتى؟

حلمي:

لقد عرضت صفقة رابحةً إن أنقذ المكتب أنقذنا الغنى

الست هدى:

حلمي تعقل!

حلمي:

«المتز» <sup>١</sup> أغرق دينا	دعيني
صارت تقام علينا	كنا نقيمُ الدعاوى
«المتز» بالمقدم	في كل يوم يطلبون
ويلي على معلمي	ويلي عليك سيدي
في قفص المتهم	غداً ترين سيدي

الست هدى (لنفسها):

ابكي هدى، اندبي، الطمي!	أسمعين يا هدى؟
تزوجت بمجرم	غداً يقولون: هدى

حلمي:

تصلح الحال حين نخلص منه	المحامي عليه للناس دينٌ
مائتا ليرة <sup>٢</sup> فأديه عنه!	دينه أنت تقدرين عليه

الست هدى:

ومن أين؟	أودي الدين يا حلمي؟
----------	---------------------

حلمي:

من الطّين

الست هدى:

وماذا بعدُ يبقى لي إذا بعثُ فدايني؟

(لنفسها)

لولا فدايني وغلّاتها  
بها تزوجتُ وفي قطنها  
ما طاف إنسان على بابي  
كفّنتُ أزواجي وخُطّابي

(لحلمي)

أنا أودي الدين عنه، أنا  
ما تستحي يا شابُّ ما تخجل؟

حلمي:

ألستِ يا سيدتي زوجة  
والزوج عن صاحبها تحمّل

الست هدى:

أحمل عن مُستَهترٍ يومه  
وليّله سكران لا يعقل؟

(تنادي)

رضوان!

(يدخل رضوان)

رضوان:

من؟ «ستي»؟

الست هدى (همسًا):

رضوان!

رضوان:

مولاتي!

الست هدى:

ادع صديقاتي اذهب على الفور

(يخرج رضوان)

(عبد المنعم يتمشى مغضبًا)

عبد المنعم (لحلمي):

قد قلت يا لحلمي الصواب  
مكتبي الثروة مكتب الـ  
اسمعي هذا هو الصدق هدى  
غنى لا مكتب إلا أنا

الست هدى:

أنت؟ لأنك حانة تنقلت  
وأنت شيء في الرجا  
وأنت برميل مشى  
ل ضائع وعالة على النسا

لحلمي:

سِيدَتِي لَا تَغْضَبِي      سِيدَتِي لَا تَسْتَمِي  
قَضِيَّةٌ فِي الْمَكْتَبِ      طِينِكَ قَدْ تُرْجِعُهُ

عبد المنعم:

هَدَى لِفِرْطِ حَسْنَاكَ      إِنِّي لَمْ أُخْطِئْكَ يَا  
صَغِيرَتِي لِسْنَاكَ      وَلَا تَزَوَّجْتُكَ يَا  
ءِ لِسْوَادِ عَيْنِكَ      وَلَا وَقَعْتُ فِي الْبَلَا

الست هدى:

إذن لطيني بي تزوجت؟

عبد المنعم:

أجل لطيناك

الست هدى:

وَأَنَا يَا مَحَامِي الشُّومِ مَا اخْتَرْتُكَ      لِقَبْحِ وَالْمَحْيَا الدَّمِيمِ

عبد المنعم:

هَذَرِ بَيْنَ وَقَوْلٍ هَرَاءٍ      لَمْ إِذْنِ قَبِلْتِنِي لَكَ بَعْلَا؟

الست هدى:

ذَكَرَ الْخَاطِبُونَ فَضْلَكَ عِنْدِي      فَإِذَا أَنْتِ لَسْتَ لِلْفَضْلِ أَهْلَا

عبد المنعم:

إذن دعي الزيرجدا      لي ودعي الزمردا  
وكل ما حلّيت منه      سه الكفّ والمقلدا

الست هدى:

ولم؟ قل لي: أمال أبيك هذا؟      أمك خلفت هذي الخليا؟

عبد المنعم:

ألسن الزوج؟

الست هدى:

لا ما أنت زوج

عبد المنعم:

فما أنا؟

الست هدى:

بل طفيلي عليا

عبد المنعم:

هاتي مصوغك!

الست هدى:

لا

عبد المنعم:

إذن لا بد لي من فلق الرأس

الست هدى:

تضربني؟ أهكذا يكون شكرُ الحسنّة؟

(وتتناول عصا)

تضربُني أنا التي تأكل زادي من سنه

عبد المنعم:

حلمي! تقدّم نحوها خذ العصا من كفها

حلمي! اختطف منها العصا

حلمي:

حلمي! تقدّم نحوها خذ العصا من كفها

ما حاجتي بخطفها

أما تراها كاللّبـّـة في مَنار عُنفها؟

عبد المنعم:

طرّ يا جبان، وانتزع من الخبيثة العصا

حلمي:

بل الجبانُ من يُجَرِّ دُ العِصا على النِّسا

تريد أن تأخذ بالقوة منها مالها؟

فما لها لا تستميت في الدِّفاع، ما لها؟

الست هدى:

يا ويلتا وا خجلي وعاري  
أضحوكهُ الجارة شغلُ الجار  
لي رجلٌ بأذني حمار  
لم يرَ إلا طافحًا في الدار  
تتضحُ بالليل وبالنَّهار  
ثيابه كُفوطه الخَمَّار

عبد المنعم:

أسمع حلمي كلام العجوز؟  
أخذتُ عصاي لتأديبها  
وما تقذف الرُّمَّة الباليه؟  
فَجَرَّ عِصاك وقف ناحيه

حلمي:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم  
فشلتُ يميني يوم تضرب زينب

(تدخل زينب ثائرة وراها نساء من الحارة)

زينب:

من قال تُضْرَبُ زينب؟  
من قال ذلك يا هدى؟  
من قالها؟ أنا أُضْرَبُ؟  
لأريه كيف يُودَّبُ؟

الست هدى:

ما قالها كاتب المحامي وإنما قالها المحامي

زينب:

إنن هو السكّير يا أخت

الست هدى:

أجل

زينب:

ما تستحي تقول ذلك يا رجل؟

منذ متى فارق وجهك الخجل؟

الست هدى:

شاركيني ما أقاسي

دافعي زينب عني

ير أن يفلق راسي

منذ حين أوعد السكـ

ي ويأفوتي وماسي

إن أنا لم أعطه دُرّ

زينب:

أنزل على زوجك انتقامي

إنن دعيني هدى دعيني

عبد المنعم:

حلمي تأملْ هذه عصابة      من خدم البيت ومن بعض النُّسا  
قد نظرتُ في البيت حتى جمعت      سلاحها من هاهنا وهاهنا  
زحافةٌ مكنسةٌ مِغْرِفةٌ      ونحن ما في يدنا غيرُ العصا  
حلمي تأهَّبْ استعدَّ دافع

حلمي:

قفْ أنتِ، عن رأسكِ حامٍ، رافع!  
أسامعُ أنتِ أم غيرِ سامعٍ؟  
انظرِ إلى الزَّحافةِ  
تدور في لَطافةِ  
كعنق الزَّرَافةِ

عبد المنعم:

وتلك؟

حلمي:

تلك المِغْرِفةِ      كالعُقْرِبِ المؤلِّفةِ

النساء (يضرين المحامي ويقلن):

أسامعُ أنتِ أم غيرِ سامعٍ؟  
اضربنهُ حتى يقعِ اضربنهُ، خذِ يا لُكعُ  
كيف ترى؟ أين الوجعُ؟

عبد المنعم:

أجرني حلمي تعال احمني

حلمي:

أنا؟ خلني، خلني أهرب

علي من اليوم لا تعتمد فإني استقلت من المكتب

عبد المنعم (الحلمي وهو منصرف):

قف يا جبان تعال، قلت

حلمي:

لا تنتظري إني استقلت

أنت تعرضت لذا ابق! خذ الزبرجدا

وأنت كنت المعتدي أقم، خذ الزمردا

إني مستعفي

عبد المنعم:

والأجر؟ تنساه؟

حلمي:

الأجر قد ضاع يعوض الله!

الست هدى:

زینب تلك صخرةً      بغير حسٍّ فاضربي

(تضربه)

أسمًا خديجةً اضربا      رضوانُ أدبٍ أدبِ  
هذا هو الفولُ فكلُ      هذا الزبيبُ فاشربِ  
خذ من يدي الزبرجدا      خذ من يدي الزمردًا  
وخذ إن اسطعت اليدا

عبد المنعم:

حسبي هُدى، كفى كفاني ضربا      قد كان هذا اليوم لي مُخبًا  
سُلِّمت رايَتي فكفي الحربا

الست هدى:

إن أنا أخلصتُك ماذا تصنعُ؟

عبد المنعم:

أذهب

الست هدى:

ثم؟

عبد المنعم:

أبدًا لا أرجعُ!

## الست هدى:

أُخْرِجْ إِذْنٌ وَّلَّ الْقَفَا يَا لُكْعُ

قف يا محامي لي استمع  
والسمعن يا من هاهنا  
النذل قد ردَّ الطلاق  
لمشيئتي أنا

(تخرج عقد زواجها)

عصمتي منك في يدي  
شهدت لي الوثائق  
امض يا نذل لا  
إنك اليوم طالق

---

<sup>١</sup> أي الأستاذ المحامي.

<sup>٢</sup> الليرة: الجنيه

## الفصل الثالث

(بحجرة بالطبقة العليا من دار المرحومة «الست هدى» «السيد العجيزي» من أعيان الريف  
وزوج المرحومة «الست هدى»)

العجيزي (لنفسه):

المالُ صار يا عجوزُ مالي وأصبحَ البيتُ وما حوى لي

من بَعْدِ عَشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ

نعم رجال كثيرٌ ماتوا بحسرةٍ مَالِكُ

كنتُ الموفقَ وحدي لما ظفرتُ بِذَلِكَ

الطين في «بَنَها» كما قيلَ لي من أجودِ الأَطْيَانِ في الناحية

وفي الضواحي يا عجيزي ابتهج ما قيمةُ الفدانِ في الضاحية؟

والبيتُ ملكٌ قِيمٌ وإن مشى فيه القَدَمُ

مهندمٌ منورٌ من رأسه إلى القَدَمُ

بأيسرِ البياضِ والترمـ

ما قيمةُ البيتِ يا عجيزي وما يساوي إن بيعَ يوماً؟

قد قيلَ لي هي ألفٌ وقيلَ ألفٌ ونصفُ

والفرشُ شيءٌ حسنٌ      الفرشُ لا بأسَ بهِ  
لا بدَّ من تتجيدِه      لا بدَّ لي من قلبِه  
الكنباتُ خشبٌ      زانٌ وسنديانُ  
قيمةٌ يبدو على      صانِعِها الإتقانُ  
وهذه سِجادةٌ      نادرةٌ ذاتُ ثمنِ  
وهذه أخرى عليها      قد تقادَمَ الزمنُ  
وصيغَةُ العجوزِ والحليِّ      أين تُرى موضعُها الخفيُّ؟  
أسألُ «رضوان» فمالي      غيرُه من مُرشِدِ

(ينادي)

رضوان

رضوان:

من ذاكَ بنا      ديني؟ أنتَ سيدي؟

العجيزي:

رضوان أنتَ صادقٌ      تعال «رضوان» اصعدِ؟

(يحضر)

رضوانُ قل يا ولدي      أين مكان الصيغَةِ؟  
في أي موضع ترى      جواهر الميَّنة؟

رضوان:

«مصاعها» يا سيدي ليس هنا

العجيزي:

أين إذن؟

رضوان:

في منزل الباشا «صَفْرُ»

قد ذهب الأغا به في عُلْبَة

العجيزي:

منذ متى؟

رضوان:

من نحو شهرٍ قد غبرُ

العجيزي:

في المرضِ الأخيرِ؟

رضوان:

في أوله

العجيزي:

وأين كنتُ؟

رضوان:

كنت في بعضِ السفرِ

العجيزي:

أمانةٌ ثم تُردّ

رضوان:

سيدي أعلمُ منّي بالدخائل الأخرُ

العجيزي:

وكنت أنتِ حاضراً؟

رضوان:

أجلُ حضرتُ

يومَ ذاكِ، وخدمتُ منَ حَضَرَ

(صوت من الطبقة السفلى)

يا صاحبَ المنزلِ

العجيزي:

من؟

الصوت:

ثلاثة  
محمدٌ وعامرٌ وأحمدُ  
جئنا نراك ساعةً فقلُّ لنا  
تتزلُّ أم نحنُ إليك نصعدُ؟

**العجيزي:**

قد حللتهم بداركم  
اصعدوا عندي اصعدوا

(الرضوان)

رضوان أجلسهم هنا  
وحيهم حتى أجي  
وجئهم بقهوةٍ  
من عزبان «القهوجي»

**رضوان:**

تفضلوا يا سادتي  
الآن يأتي سيدي

(ويخرج)

**محمد:**

ثروة ضخمة

**أحمد:**

وخيرٌ كثيرٌ

**محمد:**

كلُّ هذا إلى العجيزيِّ ألبا

أصبح الكلبُ بعد أن كان يمشي  
ينفض الجيب أكثرَ الناسِ مالا

أحمد:

«والمصاغُ» «المصاغُ» بالروح أفـ ديه فمادًا من لؤلؤ وزبرجد؟

محمد:

وهل نسيتَ يا أخي خاتمها الزمرد؟  
فهم يقولون يساوي مائةً وأزيد!

أحمد:

قد ارتدى المغفلُ الحريرا

محمد:

واتخذ الشاهيَّ والكشميرا

أحمد:

إذا مشى حسبته أميرا  
وحذاؤه، رأيته؟

محمد:

لا، كيف، كيف حذاؤه؟

أحمد:

تسبيك رفته وياً  
خذ ناظريك بهاؤة!  
والحزام الحزام، رقعة  
كشمير تمنيت أن أكفنَ فيها  
وكم وكم من قيم  
قد اقتنى بعد السعة  
ذاك الحمارُ تحتُ مثـ  
لَ الشمعة الملمعة

محمد:

لا يا أخي الحمار شـ  
—يء من شهور أربعة  
قد اشتريته له  
وكنتُ في السوق معه  
إن زاد شيء فاللجا  
مُ أو يكون «البردعة»

أحمد:

الطين يا عمرُ الطين عجب!  
الطين أبعادية من الذهب  
والبيت يا سيدي محمد  
البيت فخم البنأ مشيد

محمد:

كم يا تُرى الأرض والمباني؟

أحمد:

ألف ذراع وقيل أزيد!

محمد:

عامر لم سكتَ لم وما ابتلاك بالكم؟

عامر:

صه في غدٍ أستأجرُ الطين

محمد:

وكيفَ وبكم؟

عامر:

ذاك فنّي

أحمد:

مذ كان يُستأجرُ الطين

عامر:

أجل تلك صنعتي يا عزيزي

في غد تكتب الشروط وأمضي نحو «بنها» أحتلُّ طينَ «العجيزي»

محمد:

ما كالعجيزي رجلٌ يَدري اغتنامَ الفرصِ

إن «هدى» دجاجةٌ باضت له في القفصِ

أحمد:

وقد رأيت كيف كان دفنُها      قد دُفِنَت مثل فقيراتِ النَّسَا

عامر:

لا يا أخي ظلمته إن الذي      جاء من الباشا ومن زوجته  
قام على المأتم والدفن الأغا      أخرجها «خرجة» عز وغنى

(يدخل العجيزي فيقول)

العجيزي:

يا مرحبًا بالأحباب      يا مرحبًا بالصَّحاب  
كذا أنسى، كذا أُجفَى      كذا عنِّي لا يُسأل؟

محمد:

بنا شوق ولكنَّا      نرى المشغول لا يُشغَلُ

أحمد:

يا عجيزيُّ عزاءً      مرَّةً أخرى عزاءً  
أنت قد أحسنت والـ      لله وأظهرت الوفاء  
مثل ما قد دُفِنَت      ما دفن القومُ النَّسَاءَ

أحمد:

ما الذي أنفقت؟

العجيزي:

خَمَن، قَلْ عَلَى التَّوْهَمِ؟

محمد:

أَمَاءَةٌ

العجيزي:

في الدفن      ثم مثلها في المآتمِ

(زائر ينادي من تحت)

يا صاحبَ البيتِ!

العجيزي (لنفسه):

قد صار لي بيتُ

الزائر:

يبقى لنا الحيُّ      ويُرحمُ الميتُ

العجيزي (لنفسه):

يرحمك الله هدى      خيرُك هذا عمّني

الزائر:

تهانئي يا عجيزيُّ      لقد ورثتَ جليلاً  
تهانئي يا صديقي      قد نلتَ خيراً جزيلاً

العجيزي:

مَنْ

الزائر:

«مصطفى النشا شقي»

العجيزي:

أَجْنَنْتِي بِعُظْبَتِي؟

الزائر:

أجل

العجيزي:

تعال اصعدْ بِهَا اصعدْ، معي أحبَّتِي

الزائر:

معي الفقيهُ الحلبي

العجيزي:

يا مَرَحَبًا بِهِ، اصعدَا

(للحاضرين)

ذاك فقيه من سبيـ ل دينه على هدى  
أعرفون الشيخ؟

أحمد:

قل عامر

عامر:

سل محمدًا

محمد:

في «الزيبّي» قد سمعـ ناه يرُج المسجدا  
ذاك الفقيه ليس بعده أحد لكنه عندي مَرورُ البلد  
كم حل بالفتوى وبالفتوى عقد

أحمد:

يا حلبي أنت حبل المشنقة كم لك في الحارات من معلقة  
لم يخل بيت لك من مطلقه

(يدخل النشاشقي والشيخ)

العجيزي:

هذا هو الشيخ أتى يا مرحبًا يا مرحبًا  
«للحاضرين» بين يديه أدبا

استقبلوه وقفوا

(لرضوان)

البنُّ يا رضوانُ

الشيخ الحلبى:

لا شيئاً من الكراوية

العجيزى:

اذهب جئ الشيخ بها عطرةً وصافيةً

النشاشقي (همساً في أذن العجيزى، ويناوله العلبة):

هذا النشوقُ من نشوق المفتي يليقُ للوارث زوج السَّتِّ

آخر (ينادي من تحت):

صاحب البيت

العجيزى:

سيدي

الزائر:

عم صباحاً أنا عبدُ اللطيف شيخُ الحاره

العجيزى:

مرحبًا مرحبًا تعالَ تفضّلُ

(للحاضرين)

رجلٌ لا يرى ثيابَ الجارِ

الشيخ (عند وصوله):

ولكن أنا ما قدري؟ وهذا مجلسُ عال

العجيزي (همسًا):

تعال، ما يقولون؟

الشيخ:

صنوفَ القيل والقال

يعزُّونك بالميتِ يهنؤونك بالمال

(وهو ينظر إلى جوانب البيت)

تعالى الله ما أوسع!	تعالى الله ما أبهى!
وبيئتُ النسوةَ الأربع	مكان الأنس والبسطِ
كانت ملاكًا محسنًا	يرحمها الله لقد
في بيتها إلا أنا	ولم تقابلُ رجلًا
وكُسيْتُ هاهنا	فكَمْ طعمتُ وشربت

البيت لما اشترته      كان أبي شيخ حاره  
ولم تزل كلَّ عام      تُجبل فيه العماره

**العجيزي:**

وأنت؟

**الشيخ:**

كنت ابن خمس      فلستُ أنكرُ شيئاً  
إلا ليالي عرسٍ      لعبتُ فيها صبيّاً  
لم يدخل البيت زوجٌ      وفارق البيت حياً

**العجيزي:**

إذن فعمرُ البيت ستون سنه

**الشيخ:**

ومن يقولُ مائة ما غبنه  
فهم يقولون «الفرنسي»<sup>1</sup> سكنه

**العجيزي:**

إذن فلقبوه بالعتيق

**أحد الحاضرين:**

والأرض والموقع يا صديقي؟

آخر:

البيت كله على الطريق

الشيخ:

بل منزلٌ مباركٌ      تسكنه في عافيه  
يكفيه ما حلَّ عليه      من جلالِ الناحيةِ  
فأنت بين الحنفيِّ<sup>٢</sup>      والبتولِ الزاكيةِ<sup>٣</sup>  
لا تتس من جارك      إنك جارُ (الحنفي)

الحاضرون:

وكلنا خادمه      وكُلُّنا في الكَنفِ

آخر (يزعق من السلم ويقول):

يا عجيزي يا صديقي

العجيزي (في اضطراب لنفسه):

ذاك داودُ المغني

ربّما خلّط حتى      أضحك المجلس مني

داود (من تحت):

أيها الوارث قل لي      أأعزي أم أهني؟

العجيزي (للحاضرين):

ذاك داودُ المغنِّي      وقد أتى يسألُ عنِّي

داود:

لقد أتيتُ ومعِي حميدُهُ      لكي أريها دارَكَ الجديده

العجيزي (لنفسه):

الويلُ لي الويلُ لي      حميدُهُ في منزلي

كيف أوارِي خَجَلِي؟!

(للحاضرين)

أتسمعون؟ معه زوجته

أحد الحاضرين:

وما لداودٍ وللتفريج

آخر:

أصعده، دعه يا عجيزي يجي

العجيزي:

لا ومقام (الحنفيّ) لن يجي

آخر:

قابله لا تُضع عليه سعيه      ليس على أمثاله من حَرَج

العجيزي:

لا، لن يطا لي عَتَبَهُ سوف أريه أدبَهُ

(وينزل فيصرف «داود» ويعود)

زائر آخر (يصيح من تحت):

سيدي، سيدي، أنت هنا؟

العجيزي:

مَنْ

الزائر:

أنا سلمانُ يا عجيزي أضعَدُ؟

العجيزي (لنفسه):

ذاك سلمانُ جاء يطلبُ بالدينِ وقد جُنَّ أمسٍ حتى تَهَدَّدَ

أحد الحاضرين:

سلمانُ مَنْ؟

مصطفى:

تجهله؟ ذاك مُرابي الناحية

استرجعَ الخمسينَ مني بعد شهرينَ مِيةً

محمد:

مُسلّم؟

مصطفى:

وَابْنُ مُسْلِمٍ وَلَهُ جَدُّ  
لَنْ يَدَعَ لِلْيَهُودِ فِي «الْخُطِّ» رِزْقًا  
بِقَلْبِ الصَّعِيدِ شَيْخٍ وَلِيِّ  
يَا يَهُودَ الْأَرْضِ قَدْ  
لَيْسَ فِي «الْخُطِّ» غَيْرُهُ رَبَّوِيٌّ  
مَنْ بَنَى الْإِسْلَامَ سَلْمَانُ  
أَصْبَحَ يَشْقَى الْعَالَمُونَ  
وَمَنْكُمْ «سَالْمُونَ»

محمد (همسًا):

وما له والعجيزي؟  
وما الذي جاء يصنع؟

أحمد:

أليست الزوج ماتت  
فالوارث اليوم يدفع

العجيزي:

سلمان يا إخوان لم  
يأت لدين أو سند

عامر:

وما يضر الدين لم  
يخل من الدين أحد

العجيزي:

لا، بل علاقتي به  
علاقة من البلد  
أباؤه كانوا وآبائي  
شيوخاً وعمد

محمد:

ناد إذن يصعد فلا بأس  
في مجيئه

العجيزي:

سلمانُ سلمانُ  
تعال سلمانُ فما هاهنا  
إلا أحياناً وإخوان

(يدخل سلمان ويقول للعجيزي)

سلمان:

قيل لي عنك مطلق البطن شاك  
كيف يا سيدي العجيزي حالك؟

العجيزي:

أحمدُ الله قد تعافيتُ فاجلس

(همساً)

ولا تخف، في غدٍ يوافيك مالك

سلمان:

أمامك شهران حتى تفيقَ      وتهدأ فلم لا تمدُّ الأجلُ؟!  
وتدفعُ خمسين فوقَ الحساب      إذا الإرثُ من كل وجه كَمَل  
دواتي عليَّ وفيها اليراعُ      وأنتَ بخير وهذا السنَدُ  
فخذ فضع اسمك

**العجيزي:**

سرُّ في الرواق      لا يَطْلَعَنَّ علينا أحد

(ينصرفان)

**محمد:**

قد دخَلَا في الرَّواق سرًّا      وفاز بالوارثِ المُرابي  
وبين هذا وذا حسابٌ      ويعلم الله بالحسابِ

(يعودان)

**سلمان (همسًا لمصطفى):**

يا مصطفى يا نشوقي

**مصطفى:**

لبيك سلمانُ أهلاً

**سلمان:**

لي كلمة فادُّ مني      لا تنسَ دينُك حلًّا

**العجيزي:**

ماذا يقول المرابي؟ وما أسرَّ إيكَا؟

**مصطفى:**

يريد مني نَشُوقًا مما رَأَى في يَدَيْكَ

**الطبي:**

الحق أنه نَشُوقٌ طيبٌ

**مصطفى:**

وفيه يا فقيهُ عرقُ العنبرِ

الباشوات كلهم قد أقبلوا عليه والمفتي وشيخُ الأزهر  
وسيدات «الخط» من حين إلى آخر يبعثن الأغا فيشتري

**عامر (في سخرية):**

السيدات؟ أنتي على النَّشُوقِ تطوف؟

**مصطفى:**

أما لَهُنَّ أنوفُ؟

لا تتس يا عامر!

**عامر:**

ماذا مصطفى؟

مصطفى:

لا تنس يا أخي يا أعزَّ الناسِ  
أمك كانت من غرامها به تأخذهُ مِنِّي بالأكياسِ

عامر:

أمي أنا يا رجلاً لا يستحي  
نشاشقي يذكر المخدرة

(يتناول كل من مصطفى و عامر عصاه)

مصطفى:

وأي عار بالنشوق إنما  
العارُ كل العار شغل السمسرة

شيخ الحارة:

خذوا العصا من «عامر» و«مصطفى»  
إني أخافُ أن تكون «مَجْزَرَه»

عامر:

دعوه لي لا بد من تحطيمه

مصطفى:

خلوه لي لا بد أن أكسره

العجيزي:

وحرمة الميِّتة تنسيانها      وحق بيتي لا تراعيانِه  
غداً يقال عنكما قد سخرا      من العجيزي ومن ضيفانِه

**مصطفى:**

تلك العصا طرحتها      يا سيدي حُبًّا بِكَا

**عامر:**

وأنا أيضًا قد رميت      ت بالعصا لأجلِكا

(صوت من الخارج)

دستوركم يا أهلَ هذا المنزل

**العجيزي:**

مَن؟

**الصوت:**

الأغا

**العجيزي:**

أمازُ أغا؟ تفضِّل

**الأغا (يدخل باكيًا مولولًا ويقول):**

آه على صديقتي  
قد خُرب البيت فليب  
آه عليك يا «هدى»  
سَتَ لك عينًا فترى!  
كالبدرِ سناءً وسَنًا  
أين جبينُ كان  
جئت وأين «مرحبًا»؟  
وأين «أهلاً» كلما  
عندك من طيب اللقا؟  
وأين صوتُ كان كالسحـ  
رٍ ينادي يا أغا!

**العجيزي:**

ماذا دهاك سيدي  
هون عليك يا أغا

**الأغا (مستمراً):**

قد ذهب البيتُ  
قد ذهب المالُ  
لبيت الله وحده البقا  
فسبحانَ الذي له الغنى!

**العجيزي:**

أفق تجلّد يا أخي  
ليس البكا من النقى

**الأغا:**

أبكيك يا هدى وإن  
لم يُرجع الميتَ البكا

(ويقع مغمى عليه)

**مصطفى (للأغا):**

جربْ نَشوقِي مرَّةً خذِ تجِدِ الحزنَ هَدَا

**العجيزي:**

رُشُوهُ بِالماءِ يُفَقُّ

(الرضوان)

رَضوانُ هَاتِ كوزَ ما

**الأغا** (يرفع رأسه قليلاً ويقول):

وَلَيْكَ عَذْبًا بَارِدًا      إِنِّي أَحْسُ بِالظَّمَا  
لَيْتَكَ ما مَت وَلَيْتَ المِيْ      تَ يا هُدَى أَنَا!  
هُدَى تَعَالَى انظِرِي      البَيْتُ مِنْكَ قَدِ خَلا

(للعجيزي)

**سيدي أصغ لي:**

هُدَى رَحمةِ اللهِ      على روجِها وَأَلْفُ سَلامِ  
يا أَسفاً على هُدَى      يا أَسفاً يا أَسفاً  
ما لي يَخونُنِي فَمِي؟      ما لي تَخونُنِي القُوى؟

(ويتمايل الأغا ثم يسقط)

**محمد:**

لقد رَجَعْنَا فوَقَعْنَا      في البلاءِ والعَنا

العجيزي (للأغا):

قم يا أخي انْهَضْ قَلْ      تكلم هات بين يا أغا  
ما نحن في ماتمها      ماتمها قد انقضى  
وكل حي ميت      يوماً وإن طال المدى

الأغا:

تركت عندنا وصاةً

العجيزي:

وماذا؟

الأغا:

كتبتها قبل الزواج بعام

كتبتها وأشهدت مفتي القـ      طر عليها وقاضي الإسلام  
قد تركت يرحمها الله      امسكوني لا أقع

(ويتمایل كالنشوان)

العجيزي:

قم خلفه يا مصطفى!

مصطفى:

دعه لساعدي دَع

الأغا:

قد تركت في عُلبة      «مَصَاغِهَا» عشرَ قطع  
من جوهَرٍ مُبرَّأ      من الخُدُوشِ والبَقَعِ

العجيزي:

لمن؟

الأغا:

لعشرة من نساء الحاره      من كل جارةٍ وبنْتِ جاره

العجيزي:

وعينتهُنَّ؟

الأغا:

أجل، وبيَّنتُ

العجيزي:

يا لِي، يا لِلغبنِ والخَسارة!

يا أَسفِ الدهرِ على      جواهرِي يا ندَمًا

مصطفى:

ما لك يا أخي؟

**العجيزي:**

أحسُّ أن ظهري انقسما  
عوقبتِ هدى ولا أخرجت من جهنَّما

(يغمى عليه)

**محمد:**

لا بأس لا بأس إني أرى به إغماء

**شيخ الحارة:**

رضوان طرُجى بكُوزِ

**الخطبي:**

صُبُّوا عليه الماءَ

**العجيزي (وهو يفيق):**

والبيت يا أغا أجب البيت ما أصابه؟

**الأغا:**

وقفنَّه لبنت أول زوج إن هذا قضاء حقِّ قديم

**العجيزي:**

أترى البغي والتعسف حقاً      يا كثير التحليل والتحرير  
قلبتني هدى على النار حياً      قلب الله جسمها في الجحيم

(للأغا)

وأثأث البيت هذأ؟

الأغا:

جاء أيضاً في الوصيّه  
أصبح البيت وما      في البيت ملكاً لبيّه

العجيزي:

ارم يا دهرُ بالمصائب ارم      ظلمتني هدى فما كان جُرمي؟

شيخ الحارة:

بقي الطين فانتظرُ رحمة الله      ولا يدخلنك اليأسُ منه  
إنها خلفتُ ثلاثين فداناً      بينها وأنت تعرف بنُها

الأغا:

لا، لا تصدق سيدي      فما درى، ما عرفا

العجيزي:

ماذا جرى إذنُ أبْنُ

الأغا:

الطينُ أيضًا أوقفًا؟

العجيزي:

لمن؟

الأغا:

لبيت الله والر وضة قبر المصطفى

العجيزي:

يا ربُّ بيتك عني وعن نصيبي غنئ  
وقل لقبرك يرجع لي ثروتي يا نبئ  
الطين أيضًا قد مضى وكل شيءٍ انقضى  
يا لأعاجيب القضا

الحلبي:

اصبر أخي، تعزّ، ما هذا الجزع هب أن ذلك الزواج ما وقع  
ليس الحياةً غير ري وشبع

العجيزي (وهو يهجم عليه):

هب أن رأسك انفلق هب أن مخك اندلق  
حتى جرى على الزلق

سلمان:

الطينُ أيضًا قد مضى      يا ويح لي، ويح ليه!  
ضاع عليّ تعبي      وضاعتِ الخُسمية!  
هذا العجيزيُّ مزيج      من غباءٍ ونكدٍ  
قد جاء مصر هاربًا      من الديون في البلدُ  
وما له من عمل      فيها ولا له أحدُ  
لكن عليه سند

النشاشقي:

اذهب، كُل، اشرب السندُ

الجميع:

اذهب، كُل، اشرب السندُ!

---

<sup>١</sup> المراد بالفرنسي نابليون.

<sup>٢</sup> السلطان الحنفي.

<sup>٣</sup> السيدة زينب رضي الله عنها.

# الفهرس

تمهيد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث